السيرة الشعبية في ضوء نظرية التأليف الشفهي لألبرت لورد
سيرة سيف بن ذي يزن نموذجا

المستخلص

تدرس هذه الأطروحة سيرة سيف بن ذي يزن باعتبارها مأثورا شعبيا يدخل ضمن دائرة الفولكلور والأدب الشعبي، مستفيدة من نظرية "ألبرت لورد" في الشعر الشفهي المروي الذي يقوم على القوالب التعبيرية، وهي نظرية تفترض وجود سمات مميزة للأدب الشفهي يمكن ملاحظتها من خلال الأنماط المتشابهة للتفكير والتعبير الشفهيين. وجاءت مناسبة تطبيق النظرية على سيرة سيف بن ذي يزن بناء على سمة التكرار التي تحملها لغتها _المدونة_ وتدل على شفهيتها. وقد سعت الدراسة إلى توثيق الطبيعة التكرارية في السيرة باتباع المنهج الآتي: استقراء العبارات المتكررة، وتصنيفها، ثم تحليلها؛ مما أسفر عن نتائج عدة، أهمها: إن السيرة فن أدبي شفهي يقوم على القوالب التعبيرية بوصفها وحدة بناء تقوم مقام الكلمة المفردة. تتعدد أوجه التكرار في السيرة ابتداء من تكرار القوالب التعبيرية في مواضع متشابهة، إلى تكرار أفعال الشخصيات كمخالفة الحظر، وظهور المساعدة على يد الخضر، انتهاء بتكرار مشاهد وصفية كاملة باستخدام العبارات المعادة بلفظها، أو العناصر الثابتة التي ترد باستمرار في كل وصف مشابه. ويؤدي التكرار بمختلف أشكاله وظائف هامة خاصة أمام طبيعتها المتشعبة، منها: تكامل البنيات الحكائية المختلفة وترابطها، ويعوّل عليه التسلسل المنطقي في ترتيب الأحداث وتنميتها، وظهور الشخصيات، والانتقال في الزمان والمكان، بالإضافة إلى كونه يزيد قدرة الراوي على الاسترسال في الوصف والارتجال عند الأداء. الراوي لا يعتمد في روايته المطولة على الحفظ في الذاكرة أو التكرار الحرفي بل يتعلم كيف يروي بواسطة القوالب التعبيرية، وطريقة خاصة في صياغتها تقوم على استبدال الكلمات في القالب بكلمات أخرى مرادفة لها، أو معبرة عنها، أو مساوية لها في القيمة الصوتية، أو ترتيب الكلمات في تراكيب نحوية متشابهة؛ مما ينتج عنه كم هائل من الجمل المتوافقة في المبنى والمختلفة في المعنى، فتصلح للاستخدام في مواضع مختلفة من السيرة. إن النتائج التي خلصت إليها الدراسة قد تكون وسيلة لتعليم فن الرواية الشفهية؛ لأنها تظهر العملية المعقدة التي تحدث في ذهن الراوي وآلياتها، كما تظهر المواضع التي تتقاطع فيها السيرة الشعبية مع أنماط الحكي في الآداب الشعبية العالمية؛ مما يموضع لها على خارطة الثقافة العالمية، ويسهم في إثبات عالمية القص الشعبي العربي.